أفيقوا أيها المصريون!!

لقد بصر حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا شعب وادى النيل فى البيان الذى ألقاه بمجلسى البرلمان يوم 8 أكتوبر الماضى عندما أودع مكتبيهما التشريعات الخاصة بإلغاء معاهدة 1936 واتفاقيتى الحكم الثنائى فى السودان.

بصر الزعيم شعب الوادى بما عرف عنه من الصراحة فنبه الجميع إلى خطورة الموقف الذى ستواجهه البلاد فى كفاحها ضد المستعمرين.

قال رفعته فى آخر بيانه ما نصه: «لقد انقضى وقت الكلام وجاء وقت العمل الدائب المنتج الذى لا يعرف ضجيجًا ولا صخبًا، بل يقوم على التدبير والتنظيم وتوحيد الصفوف لمواجهة جميع الاحتمالات وتذليل كل العقبات وإقامة الدليل على أن شعب مصر والسودان ليس هو الشعب الذى يكره على ما لا يرضاه أو يسكت عن حقه فى الحياة.

وإننى على يقين من أنَّ هذه الأمة الخالدة ستعرف كيف ترتفع إلي مستوى الموقف الخطير الذى تواجهه متذرعة بالصبر والإيمان فى الكفاح وبذل أكرم التضحيات فى سبيل مطلبها الاسمى».

فحكومة الشعب عندما نهضت بهذا الإجراء الخطير قد نفذت إرادة الشعب وحققت رغبته الملحة فى وجوب الخلاص من براثن الاستعمار بإلغاء معاهدة سنة 1936 وإزالة آثارها وتحقيق الأهداف الوطنية.

وحكومة الشعب لم تزعم أنَّ الورود والرياحين تنتظرنا فى طريق الكفاح، بل

قدرت وقدر معها الشعب أن الطريق محفوفة بالمخاطر مليئة بالمشاق، و لكن السير فيها إلى نهايتها أمر محتوم على أمة تريد الحياة الحرة والاستقلال الصحيح.

فلم يكن مفروضًا أن يجلو الإنجليز عن مصر على أثر صدور المراسيم، بل كان مفروضًا ومحققًا أن يعدوا العدة للانتقام من هذا الشعب ومن حكومته أولًا وبالذات.

وكان المفهوم أنهم يرتكبون فى سبيل ذلك كل محرم، فلن تردهم أخلاق دولية ولا مبادئ قانونية ولا نظم أيًا كانت لأن ملكًا فى أيديهم يرون مصيره إلى زوال، فلا بد لهم من الاستماتة فى التمسك به.

فلما جاء دور أحزاب المعارضة لتنطق وتتكلم لم نجدها ليت الدعوة إلى ضم الصفوف، بل نجد أنها فى قراراتها وإن تكن قد أيدت التشريعات إلا أنها زعمت أن ما فعلته الحكومة الشعبية لم يكن إلا نزولًا على إرادة الشعب كأنما هذه الحكومة لا تعرف لنفسها وجهة وطنية ولا تؤمن بمبادئ سياسة وأنها سيرت فسارت ولم تقف الأحزاب المعارضة عند هذا الحد، بل زعمت أنها أيام ت وليتها الحكم ظلت تعمل لهذه الغاية «غاية إلغاء المعاهدة».

مررنا بهذا الكلام دون تعليق، لأننا وجدنا أن الظرف أجل وأخطر من الأخذ والرد والجدل الذى لا طائل تحته إلا صرف الأذهان وبعثرة الجهود.

ولعلَّ ما كان غريبًا حقًا هو أن تلك الأحزاب أبت الانضمام إلى الصفوف لأنها لا تعرف خطة الحكومة ولا التدابير التى أعدتها لتجعل من الاستقلال الصحيح حقيقة واقعة.

والحق أقول إننى كمصرى عاصر الثورة الأولى فى سنة 1919 وتابع الحركة الوطنية منذ تألف الوفد المصرى إلى اليوم وقرأ شيئًا عن كفاح أيرلندا والهند وغيرهما عجبت لموقف أحزاب المعارضة من تساؤلها عن خطة الحكومة بعد إلغاء المعاهدة.

لست أدرى فى الواقع المعنى الظاهر لهذا الكلام وإن كنت أستطيع أن أدرك كنهه. أية خطة يتساءلون عنها؟ هل لنا إلا طريق واحد لا ثانى له هو عدم التعاون مع الإنجليز بصورة قاطعة ومنظمة. هل لنا إلا أن نسقط عن كاهلنا كل ما فرضته علينا تلك المعاهدة التى انتهى أمرها. ثم نرتب أمورنا لنجهز على علاقتنا معهم إجهازًا تامًا. ونصارحهم بالعداء فى السلم والحرب. ذلك لأننا لا نملك قوة مادية تكفل لنا طردهم من بلادنا فى الوقت الحاضر. ويوم توجد هذه القوة فلن تتردد أية حكومة مصرية فى أن تؤدى واجبها المفروض. فمنذ اللحظة الأولى والتفاهم متبادل بين المصريين جميعًا شعبًا وحكومة على أن مقابلة القوة بالقوة أمر غير ميسور. والتفاهم متبادل أيضًا على أن كفاحنا سيكون مرًا وطويلًا لأنه كفاح أساسه عدم معاونة الإنجليز.

إنَّ الإنجليز يتحرشون بنا، إنهم يزعمون أنَّ جيشنا على علاقة ودية بهم ونحن لسنا من الغفلة ليخفى علينا الغرض من هذا القول الزور. إنَّ الغرض منه هو تحريضنا على إقحام جيشنا بحالته الراهنة على ميدان الكفاح ليتغلب الإنجليز علينا ويضربوا مصر ضربة قاصمة تظل تترنح تحتها سنين طويلة. إننا لن نندفع ولن تطيش أحلامنا.

إنهم يصرون على البقاء فى بلادنا للانتفاع بالأيدى العاملة فيها وبما حباها الله به من خيرات. إذن فأول واجب مفروض هو أن نحرم عليهم كل ذلك. فبدأت الحركة مباركة وانسحب عمال القنال تدفعهم وطنية رائعة ولقد شجعهم على موقفهم أنَّ الحكومة وعدتهم أنجزت وعدها فى أنها لن تتركهم يضيعون. فتلقتهم بالترحاب وهيأت لهم الأعمال ودبرت الأموال. ولولا عمل الحكومة ما نجحت الحركة فما أظلم الذين يقولون عن هذا «إنَّ العمال فعلوا ما فعلوه من تلقاء أنفسهم وبدافع من وطنيتهم وأين الذى فعلته الحكومة».

كذلك مسألة تموين الجيوش الإنجليزية وثورة الأهالى ضد المترددين من الموردين واضطرار الإنجليز لتموين أنفسهم من خارج البلاد إلى غير ذلك مما هو

معروف للجميع. وها هى الحكومة تعد التشريعات الرادعة لمن يفكر فى معاونة الغاصبين.

وتحت سمع الحكومة وبصرها يدافع المدافعون ويكافح المكافحون وكلما وقعت واقعة اتخذت الحكومة الإجراء الملائم للظرف وها هى الحكومة تعمل على أن يكون فى مقدور كل مصرى أن يدفع العدوان عن نفسه.

ففيم هذا الجو القاتم يخلق ويثار غباره ولخدمة من ملئوا الأسماع والأبصار كل صباح ومساء بكتابات وأحاديث سداها ولحمتها التضليل وصرف الشعب عن أداء واجبه المفروض.

ما هذا العبث بعقول الناس إلى حد أن يقول قائل ما دام أن الحكومة لم تستطع دفع عدوان الإنجليز بالقوة فلماذا ألغت المعاهدة؟

ما هذا العبث فى أن تقوم بعض المظاهرات المصطنعة هنا وهناك يهتف فيها من يهتف بأنَّ الفقراء يريدون نصيبًا من أموال الأغنياء.

ما هذا العبث فى أن ينادى فى الطرقات نريد سلاحًا ويتحدث بعض الخطباء عن «التحرير والتطهير».

ما هذا العبث فى وقت المحنة والجد فى وقت النضال والكفاح.

ما هذه العبارات التى تحشى بها المقالات كل يوم وفيها أنَّ النحاس باشا يعيش عيشة المترفين وأن فؤاد سراج الدين ماضره وقد أصدر أوامره بالمقاومة فى السويس مادام أنه آوى إلى فراش الدفء الوثير.

هل كان النحاس يعيش بالأمس غير عيشته اليوم؟ هل جدَّ عليه جديد؟ أليس يعيش فى بيته عيشة أمثاله؟ أليس يعيش كما يعيش إبراهيم عبدالهادى وهيكل وغيرهما؟ أهؤلاء يأكلون على الأرض ومصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين وزملاؤهما يأكلون فى صحاف مزركشة.. أينام السادة المعارضون على الثرى وينام

النحاس وفؤاد على الأرائك؟ أيمشى السادة المعارضون فى الأسواق على الأقدام ويركب النحاس وفؤاد وزملاؤهما السيارات.

حدثوا الشعب حديث جد. دعوا هذه الأحاديث المسمومة. دعوا هذه الدعايات الضالة التى تسممون بها عقول البسطاء.

إنكم فى الوقت الذى تعمل الحكومة فيه جادة للنضال عن الأهداف الوطنية تدفعون الناس أو بعضهم بالاصطناع والتضليل إلى الفتنة التى يتمكن الإنجليز خلالها من الخلاص من الطوق الحديدى الذى وضعته مصر حكومة وشعبًا فى أعناقهم.

أيها المضللون.. اتقوا الله..

أيتها الحكومة.. خذى الأمور بالحزم، فأنت لا تزالين فى ميدان الكفاح. فى معركة فيها الحياة أو الموت لثلاثين مليونًا من المصريين والسودانيين.